المبحث السادس والعشرون:

فقدان التنظيمات السياسية للوحدة الفكرية والتنظيمية.

الحقيقة تقول إن فاقد الشيء لا يعطيه، والأكثرية الساحقة من تنظيماتنا السياسية فاقدة لمقومات أمتها العربية، وهي بالوقت نفسه تزعم بأنها تتصدى لإنجاز أهداف هذه الأمة، فكيف لتنظيم لا يملك وحدة فكرية أو وحدة تنظيمية أن يحقق وحدة عربية، وكيف لتنظيم يتبنى التقدم أو الاشتراكية بينما البنية الطبقية والفكرية التي يعتمدها لا تمت بصلة لأهدافه، بل مشوبة من قريب و بعيد في أكثر من مجال من تكوينه البنيوي، وعلى هذا الأساس فأحزابنا كثيرة، وحصيلتها غير وفيرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحد الأدنى من التنسيق منتف فيما بينها، وهذا يعود لأسباب عدة منها:

البند الأول: الإقليمية.

إن قيام التنظيمات السياسية على جغرافية إقليمية، وحصر فكرها السياسي والتنظيمي في المجالات الأخرى، على أساس التجزئة التي قامت عليها، هذا الأساس الذي جعل منظورها محدودا، ونشاطها قاصرا، وأبعاد نضالاتها المنشودة محدودة.

هذه الحال التي فرضتها الإقليمية التي أوجدها الاستعمار في أسيا بموجب (اتفاقية سايكس – بيكو) والاتفاقات الأخرى التي طالت شمال إفريقيا والجزيرة العربية، لهذا جاءت البنية التنظيمية لبعض الأحزاب السياسية، بنية إقليمية وليست وحدوية، مما ولد بعض الظواهر المرضية جديدها ومعاصرها، أخذت مكانتها في إعاقة العمل الوحدوي وفي نمو القوى الانفصالية والانعزالية والعائلية، التي سُميت بعض البلدان باسمها، والتابعة لتقف في وجه الوحدة وعرقلة أي عمل وحدوي.

obeikandi.com

البند الثاني: غياب مراكز الدراسات المشتركة.

إن عدم الجدية في العمل الوحدوي، جعل أكثر التنظيمات السياسية تهمل العوامل التي يمكن أن تؤدي إليه، ومن هذه العوامل عدم ادراكها لأهمية انشاء مراكز دراسات استراتيجية مشتركة، تهتم بالوحدة الفكرية والاستراتيجية، على الساحة الإقليمية والقومية و تسهم في تقريب وجهات النظر وتثق بها.

إن غياب الثقة والتنسيق بينها في الوطن العربي، هو الذي فرض ذاته، مما أفقدها فرصة (خلاقة) تستطيع من خلالها، إنجاز وحدوي تاريخي محدد.

ومما لاشك فيه إن هذه المراكز، لابد وأنها إحدى المطارح الطبيعية للإبداع السياسي والفكري والإداري، وهي حاجات للأمة (والحاجة) كما تقدم هي إحدى أسباب الإبداع، والإبداع بحاجة الى عقوله ونوابغه القادرة على العطاء والتجديد والابتكار.

إن غياب التنسيق بين التنظيمات السياسية في الوطن العربي، ونتيجة أسباب ذاتية وخارجية، أفقدتها فرصا خلاقة تستطيع من خلالها أن تقيم مراكز دراسات مشتركة، تجري دراسات فكرية وتنظيمية وإدارية تسهم في تقريب وجهات نظرها، وتقربها من بعضها بعضا.

هذه الدراسات التي تشكل مطارح طبيعية للإبداع السياسي والفكري والإداري، والذي يمكن أن يساعد في كشف العقول السياسية النابغة القادرة على العطاء والتجديد والابتكار.

البند الثالث: الذاتية السياسية.

ويعزى السبب في ذلك الى الذاتية القاتلة، التي تعانيها تلك التنظيمات والتي لاهم لها إ لا ذاتها ونظرياتها، ووصولها الى تسلم زمام الأمور والتنسيق المطلوب، يجب أن يتم من خلال تخليها أولاً عن الذاتية والاقليمية والتجزئة، التي تحركها دون ان

تتحدث بها، والثانية، عدم تحصين ذاتها من الخارج فراً وتدخلاً واعتمادها عليه، في كثير من المسائل التي تمس قرارها واستقلالها وتلاقيها فيما بينها.

وأقول ذلك لأن بعض القوى السياسية، شكلت جبهات سياسية لأحزاب متواجدة على الساح الاقليمية، مثل الجبهة التي أقامها البعث العربي الاشتراكي في سورية، ولكن تلك الاحزاب بدلاً من أن تعمل على التقرب والتقارب فيما بينها، ذهب البعض منها باتجاهات شتى كالانقسام - وتحول بعضها إلى قوى معارضة بالمعنى السلبي – ووقوف البعض الآخر مواقف لا تمت للجبهوية بصلة، بل أكثر من ذلك فقد تحول هذا البعض، إلى حليف لعدو الشعب، فسقط فكرياً ونضالياً، وهذا يدلل على هشاشة الأطر الإدارية التي كان بوسعها تحصين أطرها التنظيمية، من خلال قدرتها على إعمال التفكير والعقل المبتكر، لصياغة مضمون وشكل إيجابي خلاق، يمكن تحقيقه لأن تلك التنظيمات تمتلك أفراداً من هذا الشعب الخلاق، وأنا أعتقد بأن جميع الشعوب خلاقة ومبدعة، إن توفرت لها البيئة اللازمة لذلك.

البند الرابع : ضبابية التحالف الجبهوي.

إن ضبابية الرؤية لدى بعض التنظيمات السياسية، حال دون تفكيرها في ابتداع أواصر التحالف الجبهوي، الذي يمكنها من الوصول إلى خطوات متقدمة في العمل السياسي الوحدوي، وهذا يعود إلى الإغراق في قضايا التجزئة المختلقة، من قبل القوى الداخلية المعادية للوحدة والخارجية المعادية للأمة.

لذلك كان من المفروض أن تبدأ تلك الأحزاب بتشكيل مراكز دراسات مشتركة، على المستوى القطري وعلى المستوى القومي وتبحث عن وحدتها وقوتها، وتشكيلها للحركة الفكرية الواحدة وللحركة الوطنية المقاومة الواحدة المحصنة والمتماسكة، والتي لا يمكن أن يضعفها أي تحد يواجهها، سوى زجها في تفرعات وفقه وفتاوى المعتقدات السماوية في السياسة.

obeikandi.com

خاصة وأن تراثنا غني بالمواقف النضالية التي تتحدث عن أهمية الالتفاف حول علم الوطن، دون النظر إلى معتقد أو فكر يحول دون ذلك، هذه المواقف التي شهدتها مراحل عديدة والتي رفعت شعارها التاريخي (الدين للّه والوطن للجميع) والقول الذي يؤكد: (بأن خلافنا على السماء أفقدنا وحدتنا على الأرض) وهناك من يعرف بأن تحرير الجزائر لم يأت إلاّ بعد إقامتها لجبهة التحرير الجزائرية التي قادتها إلى النصر على استعمار فرنسي دام (130 عاماً) وبعد أن رفضت الانشقاقات في الداخل والخارج وتوحد شبابها في جبهة تحرير الجزائر قادت البلاد الى التحرير.

إن النظرة إلى تجاوز الذات، والانتقال إلى الموضوعية، كانت بعيدة عن الكثير من القوى السياسية العربية، لأن بعضها ظن بأن دعوتها للعمل الجبهوي هو دليل على ضعف من دعاه، ولم يكن يعبر بدعوته عن قوة وامتلاك نظرة استراتيجية تنشد مصلحة البلاد والعباد.

إن الإدراك المبكر في فهم أبعاد العمل الجبهوي هو إبداع جلي في العمل السياسي، لم يتم توظيفه في مصلحة الأمة، ولم يدرك الكثيرون مع الأسف، بأن هذا الفعل يعبر عن وعي مستنتج من أعماق المعاناة التي يعيشها الفكر والممارسة، وتصب في مصلحة الكافة وهي خطوة ليكمل البعض الآخر، ولكن شيئا من هذا القبيل لم يحصل.

القصور الفكري والعملي لمؤسسات العمل القومي نشير إليها من خلال:

- **الفهم الجامد للثوابت القومية والوطنية.**

من المعلوم بأن لكل أمة ثوابتها الوطنية والقومية، و إن هذه الثوابت تشكل أهدافاً إستراتيجية للأمة، وهي تطرح وباستمرار في مناهجها لتثبتها في أذهان الجماهير، ولما كانت هذه الثوابت غاية في الأهمية، فإنها لابد مستهدفه من أعدائها، الذين يعملون للحيلولة دون تحقيقها، من خلال وضع العراقيل في مساراتها، والتآمر على القوى المؤمنة بها كما هو عليه الوضع الذي تواجهه سورية، هذه الحال التي تستدعيها الضرورة النضالية والسياسية والقومية، للتفكير في ابتكار وخلق

الوسائل والأساليب البديلة، التي يتم من خلالها صيانة الاهداف الاستراتيجية ، والثوابت الوطنية والقومية وعدم النيل من قدسيتها.

ولما كانت الأمة العربية أمة حية، لها ثوابتها الوطنية والقومية (كالوحدة العربية)، فإنه من الطبيعي أن يكون لهذه الثوابت أعداؤها في الداخل والخارج، ففي الداخل عملاء التجزئة والانفصال - (من قوى البرجوازية العقيمة المتكئة على الخارج والتي تأخذ ولا تعطي) ، هؤلاء الذين ارتبط وجودهم بهذه التجزئة.

كل عاقل وعالم يعي بأن الغرب الاستعماري، يعادي الوحدة والسبب معروف، وفي مقدمته الثروات الباطنية، وقوى رجعية عربية وخاصة في الخليج .

نتيجة: ما هو الإبداع الحقيقي في التنظيمات السياسية؟

إن الاندماج والتوحد أؤمن فيه وأعتقد به بالنسبة للتنظيمات السياسية و الحزبية في الوطن العربي، والتي تتمثل في (الأحزاب القومية – التقدمية – الشعبية - الجماهيرية - وجميع منظماتها الشعبية والنقابية الخ) هو حينما تبدع هذه التنظيمات السياسية وتكشف السبب أو الأسباب، التي تحول دون توحدها فكرياً وسياسياً وحتى تنظيمياً، ((وبما أن هذه الأسباب قد كُشفت، لماذا لا نعتبر ونجعل شعبنا يعيش عكس الواقع الذي تعيشه هذه التنظيمات السياسية، من التشظي المستمر؟ مقابل الاندماج والتوحد والتماسك المستمر لنقائضها من القوى المعادية؟ لماذا هذا التباين الفكري فيما بينها وتشتيت ذهنية منتميها وجماهيرها؟ مقابل التقارب الفكري والتجسيد العملي، والتقدم الملموس للقوى النقيضة لها، محليا و قاريا وعالميا.

لماذا تتمسك تلك التنظيمات السياسية التي تنشد الوحدة القومية والتقدم وتناضل للحيلولة دون استغلالها، وهي بالوقت نفسه تتقوقع في سجن التجزئة والإقليمية، بينما الانفتاح الذي نشهده للقوى النقيضة لها داخلياً وقارياً ودولياً، على مختلف الأصعدة الاقتصادية والسياسية والمالية والعسكرية والتقنية ..الخ.!

- **الدور السلبي للجامعة العربية .**

لقد بقيت الجامعة العربية، بُنية خاوية لا تعطي من أُسستْ باسمهم وظلت تمثل البؤرة الحامية لمن يعادون العرب واهدافهم، بينما جميع الدول العربية (مع الأسف) تنوء بحمل هذا الميت وتابوته، لنجد الآخر المعادي يحذر وينذر ويجهد للحفاظ على صاحبة الجلالة " تلك الجامعة "لما تلعبه من دور في حماية مصالحه و مصالح من أسسها من (إنكليز وحلفاء لهم) لتبقى المؤسسة المضللة، والمظلة الملائمة لخدمة وتمرير مخططاتهم ومصالحهم، وهي التي فاجائت بصمودها حتى من صنعها في هذا العمر المديد.!!

هذا الآخر الذي لازال يحشد ويخطط ويندد، بمن يُرد فيها سوءا ويجهد بألا يقتربوا منها أو يرفعوا الستر عنها، حتى لا تفوح روائحها النتنة، و تكشف محتوياتها المشبوهة منذ تأسيسها حتى الأن "والتي هي أصلاً معلومة ومكشوفة".

هذه الحال التي لم تحرك ساكناً في القوى السياسية العربية التي انعدمت لديها الثقة بالنفس، وافتقدت لديها سمة الإقدام والتضحية، مما أضعف لديها روح المبادرة والابتكار والإبداع السياسي، الذي يخلق القيادة المؤهلة لهذه الأمة .

إن ذلك ليس مستحيلاً في التاريخ، حيث نعيش تجارب معاصرة تتشكل إقليمياً ودولياً كالاتحاد الأوربي، وليس عيباً أن نستقي من التاريخ ومن تجارب الآخرين، فهاهم الأوربيون يجربون ويجهدون، يغيرون ويطورون، للوصول إلى الأفضل، وكذلك بعض التجارب التي تشهدها بعض دول أسيا، وإن كانت خطواتها بطيئة حيث تهدف منظمة أسيان بأن عام 015 ، سيكون عاماً حاسماً في التكامل الاقتصادي، وقد أنجز85٪ من عناصر التكامل ولم يبق إلا 15٪ فقط رغم صعوبة تحققها.

هذه خطوات تتم بين شعوب وأمم، ونحن أمة واحدة سُجنت داخل جامعة أنشأتها بريطانيا عام 1945، ولم نستطع تحقيق الحد الأدنى الذي نرتجيه، في كل مجال عن طريقها، ولكنهم يسيرون نحو الهدف وفق البوصلة التي تخدم أهدافهم، لأنهم أخذوا من تاريخنا وتجاربنا وتجارب غيرنا، وابتدعوا وأبدعوا، بعد أن سرقوا عقولا

obeikandi.com

وغزوا شعوبا وسبوا مخطوطات، وسبروا أوابد وثروات من الكرة الأرضية ووضعوا المخططات الكفيلة بالوصول إليها، ويتم ذلك ونحن متفرجين قابعين لاهثين مبهورين، بما يتم دون أن نحرك ساكناً، حيث تسرق ثرواتنا وعقول مبدعينا، ونحن نتفرج على إبداعاتهم، دون أن يحق لنا حتى أن نمد اصبعنا الشاهدة لتشير صامتة بأن هذا المبدع من بلادنا.

إن عقم هذه الجامعة ليس اكتشافاً، لأنها ولدت لتكون كذلك، ولكن نتساءل أنحن عقيمين أم محبين للتبعية والعبودية ؟ إن الجواب أبداً لا ؟ فنحن منا العلماء في الطب والهندسة، ومنا المبدعين في الفيزياء والكيمياء، ومنا من هو يبدع في مخابر ومؤسسات {عابرات القارات ومتعددة الجنسيات} ولكن أكثريتنا التي تحب أن تعطي الإنسانية، ترفض واقعها المجزأ المتخلف، وهي تملك مقدرات تغييره، وهي التي تعشق الحرية و ترفض العبودية والتبعية، ولكن ذاك الغول البشري، غير مقتنع وغير مطمئن لهذه الأمة، لأنها أمة حضارة وإنسانية.

obeikandl.com